الدعاية البريطانية في العراق بعد الحرب العالمية الثانية

د. عبد السلام أحمد السامر
كلية الأعلام/جامعة بغداد

خصائص الدعاية البريطانية في مرحلة الحرب الباردة :

حينما انتهت الحرب العالمية الثانية لم توقف أي من الدول المنتصرة نشاط مؤسساتها الدعائية وأن غيرت في بعض الأحوال أسماءها وحددت ميزانياتها . وقد أصبحت الدعاية من أوجه النشاط التي تمارسها الدول بشكل اعتيادي ، واتسع نطاق جمهور الاتصال الدولي ليتضمن كل المواطنين وليس فقط القادة والحكام والطبقات المثقفة ، فقد وجهت الدعاية لدوائر أكبر من سكان العالم للإحساس بأن الذي يحدد نتيجة الصراع بين الدول هو الروح المعنوية للمواطنين واستعدادهم لقبول آراء أحد طرفي الصراع.

ولهذا لم تبادر بريطانيا بتصفية مؤسساتها الدعائية لمواجهة الحرب الباردة، التي كان رئيس وزراء بريطانيا عرابها في الوقت الذي كان فيه الرئيس الأمريكي ربانها ، وأن بريطانيا دخلت عصر الحرب الباردة في ٥/مارس/عام ١٩٤٦ حينما ألقى تشرشل خطبته المشهورة في فولتن (Fulton) في الولايات المتحدة وهي الخطبة التي أشار فيها إلى أن الاتحاد السوفياتي يفرض ستاراً حديدياً على القارة الأوربية .

ويشير إصطلاح الحرب الباردة الذي شاع استخدامه في العلاقات الدولية في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى وجود حالة من العداء والتوتر الشديدين في العلاقات بين كتلة الدول الغربية بزعامة الولايات المتحدة ، وكتلة

الدول الشيوعية بقيادة الاتحاد السوفياتي وتعني هذه الحرب وجود تناقضات جذرية في المصالح ، وتبايناً في مضمون المعتقدات الإيديولوجية التي تعتنقها كل من الكتلتين ولكن هذه التناقضات لا تصل حد الانفجار على شكل حرب عالمية ساخنة ، وإنما ظلت الوسائل والأدوات المستخدمة في إدارة هذا الصراع الدولي دون مستوى العنف المسلح[١] ، ومنها الأدوات الدبلوماسية والضغوط الاقتصادية ووسائل الدعاية والحرب النفسية .

وهناك افتراض بوجود تنسيق بين الجهود الدعائية الأمريكية والبريطانية، وأن الجهود الدعائية البريطانية أقل نشاطاً من نظيرتها الأمريكية ، ويؤكد هذا الرأي ، أستاذ الدراسات السوسيولوجية في جامعة ستي في لندن ، جيرمن تونستول ، في كتابه ((وسائل الأعلام هي أمريكية)) ، إذ يقول بأن ((الأعلام الأمريكي ووسائله من وكالات وإذاعات وصحف وشبكات أخبارية وتلفزيونية وسينما قد طبعت الأعلام العالمي بطابعها الخاص يساعدها في ذلك الأعلام البريطاني متمثلاً في رويترز ، و BBC ، وما تصدره بريطانيا من منتوجات أعلامية)) وقد أطلق رجال السياسة والأعلام في بريطانيا على هذا التعاون اسم ((التحالف الخاص)) ، بين الرئيس الأمريكي وأي رئيس وزراء في بريطانيا[٢] . وإذا ما تأملنا هذه التسمية نجد أن وسائل الأعلام في الولايات المتحدة وبريطانيا في فلك الحكومة وتتبني مواقفها .

ومما يزيد هذه المسألة أيضاً هو التقرير الذي كانت قد كلفت لجنة دروجيدا بتقديمه عن أهمية الأعلام والدعاية الخارجية ، إلى البرلمان البريطاني في عام ١٩٥٤ والذي جاء فيه أن ((الخدمات الأعلامية يجب النظر إليها على أنها جزء لا ينفصل عن الجهاز الدبلوماسي لأي دولة كبرى ، وهدف الخدمات الإعلامية في المدى الطويل يتركز في دعم الأهداف السياسية والاقتصادية للدولة. ويجيء ضمن هذه الأهداف كسب الحرب الباردة ، وتوطيد علاقات

واستخدموا في ذلك الخيل والعربات أيضاً للسرعة في إيصال الأوامر إلى استخدامهم للسعاة الراجلين في المناطق الوعرة حيث يتعذر استخدام العجلة أو الحيوان .

٣ - القلاع :

فن بناء القلاع المحصنة ظهر منذ الألف الثالث ق.م حيث نجد القصور المحاطة بالأسوار والمدعمة بالأبراج التي يمكن تسميتها بالقصر القلعة الذي أصبح في أوج اكتماله في بداية الألف الأول ق.م .

ونتيجة لظهور الحكم المركزي في العراق منذ العهد الأكدي الذي أوجد نظام البريد الموحد والتجارة الخارجية أصبحت الحاجة ملحة إلى وجود مراكز متقدمة تقع على مفترق الطرق المهمة لتؤدي الوظائف الآتية:

١ - حماية الطرق وإدامتها .

٢ - تزويد مستعملي الطرق بالمؤن واحتياجاتهم المختلفة .

٣ - أن تكون نقاط أنذار مبكرة عن أي هجوم معادي وفي نفس لاوقت خط دفاعي سيما إذا كانت القلعة كبيرة حيث ترابط فيها قوات مساندة .

٤ - أن تكون نقطة وثوب متقدمة أو قوة تأديبية لما حولها من المناطق وفي نفس الوقت ليحتمي بها سكان القرى المجاورة عند تعرضهم للخطر.

٥ - أن تشرف على البصاصين (الاستخبارات) .

٦ - جباية الضرائب وتأمين مؤخرة الجيش في أثناء السير.

٧ - تأمين التموين للقطاعات العسكرية المارة فيها سواء في أثناء الذهاب والإياب إذ يعدّ مستودعاً للذخيرة والمؤونة والعدد الحربية.

أن تأمين الطرق وحماية القوافل تتطلب بناء القلاع والمعسكرات وتدعمها بالتحصينات وجعلوها تشرف على الطرق . وهذه الحاميات تكون على نوعين[٢٠]:

بريطانيا بحلفائها الأوربيين وبدول الكومنولث وكذلك كشف أعداء بريطانيا الخطرين في هذا المجمع الدولي))[٣] ويوصي التقرير إلى ((أن دولة كبرى مثل بريطانيا لها ارتباطات عالمية متشعبة يجب الا تبخل على هذه الأجهزة الإعلامية والدعائية بما هي في حاجة إليه من إمكانات مادية ..)) ولاسيما وأن بريطانيا كانت ما تزال متقنعة بأسطورة الإمبراطورية ، التي قال عنها اللورد كورزن باقتناع ((أن الإمبراطورية البريطانية ، في ظل العناية الإلهية ، هي أعظم أداة للخير شهدها العالم)) ، مع أن هذه الأسطورة خفت خلال سنوات الحرب الثانية ، أو على الأقل التساؤلات المتشككة التي انتشرت في الثلاثينيات حولها . ولكن إمبراطورية ما بعد الحرب تظاهرت بمظهر آخر ، ولاسيما وأن الأمم المتحدة الناشئة وفيها ثلاث دول[*] لا استعمارية من بين خمس دول كبرى ، أظهرت دلائل على أنها ذات تأثير ضد الاستعمار ولكن بريطانيا حاولت أن توجه ذلك بالتشديد على المظهر الإنساني لإمبراطوريتها[٤] ، ولهذا فأن المؤسسة الدعائية البريطانية اتجهت إلى :

١ - التركيز في نشاطها الدعائي الخارجي على دول الكومنولث الجديد في فترة انحسار الاستعمار ، وتأكيد إقامة علاقات طيبة معها لمواجهة خطر التغلغل الشيوعي فيها .

٢ - مواجهة الانتقادات التي وجهت لبريطانيا في المحافل الدولية ولاسيما هيئة الأمم المتحدة . بأنها دولة استعمارية تسعى لبسط نفوذها على الدول الأخرى .

وبمواجهة تقرير لجنة دروجيدا الذي تحدثنا عنه ، يمكن فهم أبعاد السياسة الدعائية لحكومة البريطانية لأنه وضع الأساس الذي انطلقت فيه جميع التطورات اللاحقة . ويمكن أن نستخلص من التقرير ما يأتي[٥] :

١ - رفضت لجنة دروجيدا إنشاء وزارة للمعلومات (للإعلام) وهو التقليد الذي ساد أبان الحرب العالمية الأولى والثانية ، وتوصي بإنشاء تنظيم غير مركزي يقوم على أساس تعدد الأجهزة مع استقلالها هيكلياً . وهذا يعني أن أكثر من وزارة واحدة تشترك في العمل الدعائي ، وهي وزارة الخارجية ووزارة شؤون الكومنولث ووزارة المستعمرات ووزارة الخزانة. ولحسم المشاكل الناتجة عن التعارض أو التداخل في الاختصاصات افترضت اللجنة تشكيل لجنة رسمية (Official Committee) تضم في عضويتها بعض الوزراء .

٢ - أكدت اللجنة السابقة ، أنه لا يمكن للدعاية أن تكون بديلاً للسياسة كما لا يجب النظر إليها على أنها تستطيع أن تحل محل القوة العسكرية أو الكفاءة الاقتصادية أو الاستقرار المالي ، فالدعاية قد تسمح بإخفاء ضعف الدولة إلى حد ما ، ولكن تأكيد قوة الدولة لا يمكن أن يكون قابلاً للتصديق ما لم تكن عناصر هذه القوة قائمة فعلاً . ولكن في حالات معينة تكون الدعاية فاعلة في خلق التوازن بين النجاح والفشل الدبلوماسي .

٣ - استبعدت اللجنة نشاط المنظمات الخاصة في نطاق الدعاية الدولية ، بالرغم من أن جميع الأجهزة التي تشرف على الدعاية في ما وراء البحار يمكن أن توصف بأنها شبه حكومية ألا أنها ترفض قبول تدخل القطاع الخاص في هذا النشاط .

٤ - ومن خصائص الدعاية البريطانية والتي تنبع من خصائص النظام الرأسمالي وفلسفته وهي البرجماتية ((النزعة العملية)) وهذا ما يؤكده التقرير السابق بـ ((أن الدعاية الخارجية التي تلبي طلباً دون أن تحقق فائدة سياسية أو تجارية نهائية لهذا البلد ، تمثل ضياع الكثير من المال العام))[٦].

وفيما يتعلق بتنفيذ الدعاية البريطانية الخارجية في هذه المرحلة فقد تكلفت ثلاث مؤسسات عريقة بهذه المهمة ، هي ما يطلق عليه خدمات المعلومات عبر البحار (Overseas information services) ، تبدو كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى غير أنها تدار وتوجه بإدارة مركزية من وزارة الخارجية ، وهي :

١ - مكتب الاستعلامات المركزي

(Central office of information "COI")

وهذا المكتب هو الوارث الشرعي لوزارة المعلومات التي نهضت خلال الحرب العالمية الثانية وهو جزء من وزارة الخارجية البريطانية ، ومسؤول عن وضع السياسة الدعائية لبريطانيا عبر البحار ، وتقرير ما يذاع من أنبائها ، وتبلغ ذلك لسفاراتها لتلتزم بها .

وتمدها بالأخبار والموضوعات السياسية الهامة ، كما تزودها بالنشرات المدروسة على سبيل الدعاية بين الناس فيما وراء البحار ، وفيه إدارة للأخبار تعمل على خدمة ممثلي الصحف الأجنبية من خلال عقد المؤتمرات الصحفية ظهر كل يوم ، وإلى جانبها إدارة أخرى هي إدارة العلاقات الثقافية وهي تعاضد عمل المجلس الثقافي البريطاني . وقد وزعت وزارة الخارجية الأعمال على العديد من الإدارات التابعة له . وهي إدارات أو مكاتب إقليمية ، ويختص كل مكتب بدولة من الدول أو بمجموعة منها .

فلأمريكا مكتب وللشرق الأدنى مكتب ، وللمستعمرات مكتب وهكذا ... ولها فروع منبثة في جميع إنحاء العالم ، وهي التي يشتغل بها الملحقون الصحفيون وضباط الاستعلامات[٧] الذين زاد تأكيدهم إقامة علاقات شخصية مع كبار المحررين والصحفيين وغيرهم من رجال الأعمال ، أكثر من العمل على توزيع المواد الإعلامية المطبوعة[٨].

ويقوم المكتب المركزي بواسطة إدارة الأفلام ، بتوزيع وعرض الأفلام فضلاً عن مسؤولية الإنتاج ((إنتاج أفلام تسجيلية – وثقافية –) ، فأخرج سنة ١٩٤٧-١٩٤٨ وحدها ثمانية وثمانين فلماً صنع معظمها في أول الأمر للتوزيع فيما وراء البحار ، وهي أفلام تعترف بأساليب الحياة الإنكليزية ، واستجابة الشعب الإنكليزي الروحية للصعوبات المحيطة مثل فلم ((المدن الخمس)) وهناك أفلام تعرض حياة الكومنولث أو تخص العناية بالمستعمرات(٩).

وتمد إدارة الصحافة لما وراء البحار ، موظفي الاستعلامات في معظم مناطق ما وراء البحار بأنباء يومية خاصة بالتطورات في بريطانيا وهي مقتبسة من كبريات الصحف البريطانيا وتعليقات على الحوادث ، وأنباء البرلمان ، وأخبار المستعمرات البريطانية وتعليقات على الشؤون الخارجية ، والاتجاهات الدولية في سياسة بريطانيا الاقتصادية ، ويبلغ مجموع الكلمات التي تخرج منها يومياً ثمانية آلاف كلمة ، وكما يشتري المكتب المركزي كل أسبوع حق توزيع ما يقارب من مائة وأربعين مقالاً ظهرت في الصحف البريطانية والأجنبية وحق نشرها في أكثر من دولة ، ويستخدم موظفوا الاستعلامات في الخارج هذه المقالات وقد ينشرونها في المجلات التي تصدرها مكاتب الاستعلامات(١٠).

ويصدر مكتب الاستعلامات المركزي مجلة تسمى ((اليوم)) باللغة الإنكليزية واللغة السواحلية وتوزع في المستعمرات واليونان وتركيا وبولندا والهند والباكستان وبورما والشرق الأوسط ومناطق المحيط الهادي ، وكما يؤدي دوراً مهماً في إصدار المواد الدعائية غير الدورية ، فيصدر سنوياً دليل ((بريطانيا العظمى)) ونموذجه المختصر ((باختصار عن بريطانيا)) ويصدر الكراريس والمنشورات عن النظام السياسي البريطاني وعن البرلمان والصحافة وعن العلاقات الخارجية للدولة ومعلومات أخبارية عن البلدان الأخرى . وكل هذه المطبوعات تقدم بالطبع من المواقع الإيديولوجية البرجوازية ، ومن دون

شك، أنها من حيث الجوهر تكون معبرة عن السياسة الدعائية الحكومية الداخلية[١١].

٣ – المجلس الثقافي البريطاني :

وهو الجهاز الثاني الذي يمكن أن يوصف بأنه أداة الدبلوماسية الثقافية البريطانية ، وزيادة على ذلك ، أنه في أعقاب الحرب العالمية الثانية زاد نشاطه واتسع ليشمل أغلب بلدان العالم بما في ذلك بلاد ما وراء الستار الحديدي . وهو يحاول أن يقصر نشاطه على المجالات التعليمية ويتشكل جمهوره من المفكرين والخبراء والدارسين وليس الجمهور العريض في الدول الأجنبية .

وكذلك يحاول أن يعمل بشكل يتسم بالاستقلال عن البعثات الدبلوماسية البريطانية في الخارج[١٢] ، حتى يبدو كأنه مؤسسة ثقافية صرفة ليس لها غاية سياسية مرتبطة بالحكومة البريطانية ، ومن ثم يتجاوز المواقف المتشكلة لدى بعض الأوساط التي وقفت موقف رافض من أعمال حكومية بريطانية ، وبذلك استطاع النجاح في عمله .

وعلى أثر تقرير قدم إلى الحكومة البريطانية في آذار من عام ١٩٥٦ حول تعليم اللغة الإنكليزية في الخارج ، أعطيت للمعهد إشارة الانطلاق للتوسيع الكبير في تعليمها . كما شخص هذا التقرير اللغات المشتركة البديلة ، مثل الهندية والصينية والعربية ، التي أقترنت بطموحات سياسية أو قومية ، بوصفها اللغات التي تهدد صيرورة اللغة الإنكليزية ، لغة عالمية ، ويبدو من التقرير أن هناك تعاون بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية[١٣] من خلال وكالة الاستعلامات الأمريكية.

وأن هذا التقرير كما أشار روبرت فيلبسون في كتابة ((الإمبريالية اللغوية)) بأنه يقدم ((الدليل القاطع على اندماج المعهد البريطاني في الماكنة الحكومية والاتكال أو التكافل المتبادل بين السياسة الثقافية والسياسة الاقتصادية

وضمنياً السياسة العسكرية كذلك ، قد تكون صدمة لأعضاء مهنة تعليم اللغة الإنكليزية الذين يعدون أنفسهم مهتمين فقط بحرفتهم الثقافية والفكرية الحرة أو اللاسياسية ، أن يدركوا بأن أسس العالم الأكاديمي والمهني الذين يعملون فيه قد وضعتها حكومة بريطانية محافظة ، كانت الحرب الباردة شغلها الشاغل ، فضلاً عن تأمين للمصالح البريطانية في العالم بأسره))[١٤] .

٣ - هيئة الإذاعة البريطانية :

بعد مدة وجيزة من دخول بريطانيا عصر الحرب الباردة في آذار عام ١٩٤٦ على اثر الخطاب الذي ألقاه تشرشل في مدينة فولتون ، بالولايات المتحدة ، ناقش البرلمان البريطاني اقتراحاً من الحكومة حول سياسة الإذاعة وإصدار البرلمان ما سمي بالميثاق الثالث لهيئة الإذاعة البريطانية ، أكد فيه دور الإذاعات الموجهة إلى الخارج . وكان أساس العمل عكس اتجاهات الرأي العام البريطاني والحياة الثقافية البريطانية والتطورات المختلفة في مجالات التجارة والصناعة والعلم[١٥] .

وقد خرجت بريطانيا من الحرب العالمية الثانية بأكبر حصيلة من خدمات البث لما وراء البحار ، فمنذ الحرب كانت هيئة الإذاعة البريطانية تبث بمعدل يتراوح بين (٦٠٠) إلى (٦٥٠) ساعة أسبوعياً وبلغات أساسية بلغت (١٣) لغة[١٦] . وقد أشارت الصحيفة البيضاء في سياسة الإذاعة ((White paper on Broad casting policy)) التي صدرت من المكتب الأعلامي للملك في تموز ١٩٤٦ ، إلى الدور الذي لعبه البث الإذاعي الأجنبي للهيئة في خلق حالة الرضى أتجاه بريطانيا أثناء الحرب . وأثرت هذه الصحيفة أن يستمر البث لما وراء البحار في خلق وتعزيز النظرة الحسنة إلى الحياة البريطانية وتقاليدها ، ثم ذكرت بأن النشرات الأخبارية والتي وضعت على أنها نواة البث الإذاعي لما

وراء البحار ، يجب أن تعد مع أكبر قدر ممكن من الموضوعية لأجل الحفاظ على السمعة الحسنة لهيئة الإذاعة البريطانية في ذكر الحقيقة .

ولهذا ينبغي أن لا يختلف التعامل مع خبر ما في النشرة الإخبارية لما وراء البحار عن النشرة المحلية[١٧].

ومع هذا ، ومن منظور أن البث لما وراء البحر يعتبر خدمة وطنية ، لأن تكاليفه تدفع من قبل منح على شكل مساعدات من اعتماد مالي عام وليس من إيرادات إعطاء الرخص فقد حافظت هيئة الإذاعة البريطانية على أتصالها مع وزارات الدولة ذات العلاقة لغرض الحصول على معلومات تتعلق بظروف الأقطار المختلفة وسياسات حكومة ((صاحب الجلالة)) تجاهها ، حتى تضع الإذاعة خطط لبرامجها في ضوء الاهتمام الوطني[١٨].

وفي ضوء العلاقة بين بريطانيا والعالم العربي ، فقد أزداد البث الإذاعي باللغة العربية ليكون في نهاية عام (١٩٥٠) ، بأربع نشرات إخبارية يومية ، أثنتان في الفترة الصباحية وواحدة في المساء وأخرى في منتصف الليل ، وإلى جانب ذلك كان هناك برامج إذاعية بمواد إخبارية مختلفة لمدة ثلاث ساعات[١٩]، وهذا يعكس مدى اهتمام بريطانيا ، العالم العربي . وزمنياً ، كان البث العربي من هيئة الإذاعة البريطانية يستغرق تسع ساعات يومياً أي ما يقارب من سبعين ساعة في الأسبوع ، وأكثر مستمعيها يلتقطون إذاعتها على الموجة المتوسطة المنقولة من المرسلة التي أقامتها السلطات البريطانية في قبرص ، شرق البحر الأبيض المتوسط ، ومن محطة الإذاعة البريطانية الشرقية وكذلك على الموجة القصيرة المنقولة رأساً من المملكة المتحدة ، وبرامج القسم العربي ، الموسيقية والتمثيلية والمنوعات وغيرها كانت تسجل أصلاً في أستوديو في القاهرة[٢٠].

وتعدّ محطة هيئة الإذاعة البريطانية (B-B-C) من أضخم المحطات الحكومية في الدول الرأسمالية الغربية لأنها تقوم على أساس الاحتكار لمحطات

الراديو[٢١] . كما أن الإذاعة في بريطانيا موضوع (العناية والاهتمام) الدائمين من قبل الدولة أكثر من أية دولة رأسمالية أخرى . لأن السلطات الحاكمة ، ومنذ بداية العشرينيات قومت بشكل عال أهمية الراديو كوسيلة فريدة من حيث تأثيرها الفعال في مجال الإعلام والدعاية[٢٢].

وهيئة الإذاعة البريطانية ، مثل صوت أمريكا هي جزء من شبكة واسعة للاتصالات الدولية مخصصة لزيادة ونشر التأثير القومي البريطاني ((دبلوماسية الاتصال)) ولكن سمعة الإذاعة البريطانية بجعلها سلاح يعتد به في دبلوماسية الاتصال البريطاني لأنها تعتمد الأسلوب الدعائي غير المباشر ، من خلال مزج المعلومات بالدعاية أي أنها تميل إلى التضمين ، فلا تحاول استمالة المستمعين بعنف والمستمعون في نظرها أناس معقولون ، وهي بذلك تطبق قاعدة سايكولوجية تقول بأن الذين يتفقون معك في الرأي هم الذين يستمعون إليك ، ومن ثم لا داعي للمبالغة في استمالتهم[٢٣] . وأختيار الأخبار أو الموضوعات هي جزء من رسالتها فهي لا تهتم أساساً بالأخبار التي تتصل مباشرة باهتمامات جماهيرية ، ولكنها تركز على أحداث العالم والأخبار البريطانية ، ويحمل كل قسم نفس المواد في المقدمة الإخبارية ولا يستطيع أي قسم أن يضيف أو يقلل من المواد حول منطقة معينة[٢٤] .

الطابع العام للدعاية البريطانية في العراق :

استغلت الدعاية البريطانية القضية الفلسطينية كموضوع دعائي لتقوية نفوذها في العراق من خلال أظهار نفسها بمظهر الدولة العاطفة على قضايا العرب المصيرية ، لاسيما وأن قضية فلسطين بدأت تستأنف ظهورها في اهتمامات الرأي العام العراقي عندما بدأت الحرب العالمية الثانية تقترب من نهايتها وأنها تشكل العقبة السياسية الرئيسة في العلاقات العراقية – البريطانية[٢٥] .

وبررت الدعاية البريطانية بقاء الانتداب البريطاني على فلسطين إلى مدة ما بعد الحرب العالمية الثانية على الرغم من أن الانتداب يقر استقلال القطر المنتدب ويحتم على الدولة المنتدبة أن تقيم حكومة فيه من أهله وتتخلى عنه ، وتترك لهم دولة حرة مستقلة ، يفعل عامل وعد بلفور ، إذ أن استيطان اليهود لفلسطين بجانب العرب الذين يجب أن تحفظ حقوقهم وأن لا يخل وجود الأجنبي بحقوق الأصيل وفقاً لمنطق الدعاية البريطانية ، أن ذلك يحتاج إلى وجود شخص ثالث ذي قوة وجاه يقيم العدول ويمنع كلاً من الطرفين تخطي حدود الحقوق التي يحقها له[٢٦] .

وإيغالاً في المنطق الدعائي البريطاني ضمن هذا السياق ذهبت إلى أن مساعي الصهيونية وتأييد الولايات المتحدة الأمريكية لها في جعل أبواب فلسطين مفتوحة على مصراعيها لهجرة يهود أوربا إليها وإقامة دولة يهودية خالصة فيها لا تتفق ومصالح بريطانيا التي تريد أن تبقى في فلسطين وفي يدها قسطاس العدل تزن به حقوق كل فريق ، فاقترحت تأليف اللجنة البريطانية الأمريكية وكان تقرير هذه اللجنة غير متفق باجمعه ورغبات بريطانيا ، فأقامت في طريق تنفيذه العراقيل ، فاجتمعت في لندن لجنة بريطانية أمريكية اقترحت إنشاء دولة اتحادية للقسمين اللذين تقسم بهما فلسطين يخصص أحدهما لليهود والآخر للعرب وأن بريطانيا لم توافق على المشروع لأنها قطعت على نفسها عهداً بأن لا تتخذ قراراً نهائياً في قضية فلسطين ألا بعد أن تستشير العرب واليهود[٢٧] .

وإلى جانب الموقف الرسمي المضلل ، سعت الدعاية البريطانية من خلال ما تضخه وكالة أنباء رويتر ووكالة الأنباء العربية إلى الصحف العراقية ، إلى إظهار عطف الرأي العام البريطاني على العرب ، فذهبت إلى أن ((الشارع البريطاني يعطف كل العطف على العرب مهما يكن موقف الحكومة البريطانية من حركات العرب ، والسبب في عطف الرأي العام البريطاني لأن اليهود يحضون

بكراهية جزء من الشعب الإنكليزي ولاسيما من كان يخدم في القوات المسلحة في الشرق الأوسط ، لا ينسون أن الإرهابيين اليهود يقتلون الضباط والجنود لأبسط الأسباب أو يجلدونهم أو يبصقون في وجوههم))[٢٨].

ولماذا أذاعت اللجنة الأمريكية – البريطانية والتي زارت العراق في ١٩٤٦/٣/١٦ ، تقريرها الذي أعدته بشأن تقسيم فلسطين والذي برهن على سوء نيتها إزاء العرب وتحيزها للصهيونية وحرصها على إنجاز ما تسعى إليه ، إنشاء الوطن القومي الصهيوني في فلسطين ، وواجه هذا التقرير معارضة شديدة من القوى الوطنية في العراق كما هو الحال في الأقطار العربية الأخرى، فسعت الدعاية البريطانية في العراق إلى التقليل من أهمية تقرير اللجنة الأنكلو – أمريكية وذهبت إلى أنه ليس قراراً حكومياً بل أنه في الواقع آخر تقارير كثيرة وضعت عن فلسطين خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية وكان كل منها يثير بعض القلقة المؤقتة التي لا تلبث أن تزول لطغيان المسائل الأخرى عليها وأن الشيء نفسه قد تكرر ، غير أن التقرير الحالي يختلف عن التقارير الأولى في شيء واحد مهم هو أن الأمريكيين اشتركوا في وضعه[٢٩].

وعندما انتهى عمل اللجنة الأنكلو – أمريكية بالفشل ، اتجهت الدعاية البريطانية إلى الإيحاء بأن سبب الفشل في ذلك ناتج عن دعوة الولايات المتحدة الأمريكية إلى مشاركة بريطانيا في تقرير مصير فلسطين لأن الإنكليز عندهم ((من أصالة الرأي ونباهة الخاطر وسلامة الفكر ، كل العوامل والمؤثرات التي ساعدتهم إلى الآن والتي تساعدهم في المستقبل في البقاء على ظهر الأرض كأمة عظيمة ودولة ضخمة ، فقد جنبهم محصولهم من الذكاء والألمعية الوقوع في الخطأ)) وعلى سبيل المثال كما تذهب إلى ذلك الدعاية البريطانية ، سلمت من الوقوع في الأخطاء والمناقضات حينما قررت أن تحل وحدها وبوسائلها

الخاصة ثلاث مسائل طالما أدى الخلاف على حلها إلى التهديد بإثارة الحروب بين بريطانيا وحليفاتها من الدول الكبرى .

١ - فقد أعدت بريطانيا جميع الوسائل لمساعدة الجامعة العربية ليس في قضية الميلاد فحسب بل ساعدتها على المساهمة في كبريات المسائل التي لها علاقة بمستقبل العالم .

٢ - أعدت بريطانيا جيوشها لحماية سوريا من الاعتداء حتى يصح القول أن غضب بريطانيا من أجل سوريا لم يعرف له مثيل فقد تقلص ظل نابليون عن الدنيا .

٣ - المسألة الثالثة التي دافعت فيها بريطانيا عن حرية العالم العربي هي مسألة طرابلس الغرب ، فقد تعددت آراء الدول في مؤتمر باريس حول مصيرها ... غير أن بريطانيا أكدت أن طرابلس الغرب دولة مستقلة وأنه لا حق لأحد في اقتراح إعادتها إلى إيطاليا وليس لأي دولة أن تفرض وصايتها عليها .

وإزاء تنامي نشاط الحركة الوطنية في العراق ومساعيها المتواصلة لتحقيق الاستقلال ، كان منطق الدعاية البريطانية في العراق قائم على أساس أن بريطانيا وإزاء ما تجمع لديها من مشكلات العالم العربي فأنها ستتبع سياسة جديدة نحو العرب شعوباً وحكومات وذلك بتغيير بعض رجالها المعروفين بشدتهم وسياساتهم المناوئة لحركات تحرير العرب ، في سفارات بريطانيا ومفوضياتها بمختلف عواصم العالم العربي ، على أن تعين بدلاً عنهم بعض الساسة الذين يعدون من أنصار التعاون بين العرب والغرب[٣٠] .

وضمن هذا السياق عندما أفشل الشعب العراقي عقد معاهدة بورتسموث شاع في الأوساط السياسية ببغداد أن هيئة أركان السفارة البريطانية في العراق ستبدل بسبب فشلها في تصوير موقف الشعب العراقي من المعاهدة . وعدم

إطلاع وزارة الخارجية البريطانية على الصورة الحقيقية لنظرة الشعب العراقي إلى المعاهدة والمقومات التي أدت إلى تطوير الحوادث في العراق[٣١] .

وأخذت الدعاية تتجه إلى تأكيد دور بريطانيا في إيجاد سياسة إنشائية وعمرانية بما يؤدي إلى إنعاش شعوب الشرق الأوسط لأن الطمأنينة والاستقرار في المنطقة لا يتهيآن من دون إحلال الرخاء والرفاه محل البؤس والحرمان ، فقد بلغت الحال بين شعوب الشرق الأوسط ومنها العراق ما بلغته من تدهور وانحلال في الأوضاع العامة مما يتطلب معالجة سريعة حاسمة قبل فوات الأوان، وهكذا تجد الدعاية البريطانية تتحدث عن الخبراء البريطانيين في ترقية المصالح القومية في العراق ، مثلاً ((تدرس السلطات المختصة المشروع الذي أعده المستر هغ وزملاءه المهندسون البريطانيون وهو مشروع خليق إذا نفذ أن يجعل الأراضي القابلة للزراعة ثلاث أضعاف ما هي الآن بالاستفادة من مياه دجلة والفرات وفروعهما وإصلاح الأراضي التي سبق أن أتلفتها مياه الفيضان))[٣٢].

وهنا ليس قصدها فقط إبراز فضل بريطانيا على العراق وإنما يأتي هذا المنطق الدعائي للرد على الانتقادات التي توجه لبريطانيا بأنها دولة استعمارية تقليدية وقد تجلى هذا في خطاب ألقاه كريج جونس وزير المستعمرات البريطاني في مدينة بريستول عندما قال ((لقد استهدفت السياسة البريطانية لانتقادات كثيرة ولا نكران في أن هناك نواقص ولكن يجدر بالذين ينتقدوننا أن يتركوا جانباً تريد عبارات الاستعمار التي لم يعد لها أي مدلول في واقع الأمر))[٣٣].

وضمن هذا الاتجاه حاولت الدعاية البريطانية أن تقلل من شأن المساعدات الاقتصادية والعسكرية الأمريكية للعراق ، وأن تظهر للرأي العام العراقي بأن بريطانيا أكثر كرماً اتجاههم من أمريكا ، فقد صادف قبيل الجلسة الافتتاحية لميثاق بغداد في تشرين الثاني ١٩٥٥ أن أهدت بريطانيا دبابتين من

نوع ((سنتوريون)) إلى العراق وأهدى الأمريكان إليه عشر دبابات من النوع نفسه وكانت الدبابات التي أهدتها أمريكا مشتراة من بريطانيا وعملت السفارة البريطانية على أن تجعل من هذه الهدية مظاهرة كبرى لأغراض الدعاية ، ولذلك أتفق الأطراف الثلاثة ((العراق وبريطانيا وأمريكا)) على صيغة بيان صحفي وموعد لنشره في وسائل الأعلام العراقية ، بما يجعل الرأي العام العراقي يتعرف على الهدية الأنكلو – أمريكية بعدّها رمزاً للصداقة غير أن البريطانيين وبحكم نفوذهم القومي في العراق نشروا في الصحف العراقية قبل الموعد المتفق عليه بياناً ذا صيغة بريطانية واتبعوه بحركة دعائية تجعل الرأي العام يتعرف على الهدية البريطانية من دون الأمريكية حيث رتبت السفارة للمصورين الصحفيين سفرة إلى ميناء البصرة لالتقاط صور للدبابات عند إنزالها في الميناء ، فتم تصوير دبابتين وقد نقش عليها بأحرف كبيرة ((هدية من صاحبة الجلالة)) ونشرت هذه الصور في الصحف العراقية ، أما الدبابات الأمريكية فقد بقيت مخزونة في مكان عميق من الباخرة التي حملتها[٣٤] .

وفي الثالث من كانون الثاني عام ١٩٥٦ ، تم تقديم الدبابات إلى العراق بشكل رسمي في معسكر الرشيد ، مما جعل السفير الأمريكي أن ينتهز هذه الفرصة ليوضح طبيعة الهدية الأمريكية للعراق بكلمة ألقاها في الحفل ، أما كلمة القائم بأعمال السفارة البريطانية في الحفل ، فقد جاءت لتؤكد اللغة الدعائية نفسها التي تضمنها البيان الذي نشر في الصحف ، حيث قال ((ومجموع الدبابات الضخمة التي أستلمها العراق هي (١٢) من نوع سنتوريون رقم (٧) وقد قامت الحكومة البريطانية بإهداء أثنين منها للعراق وأما الدبابات العشر الأخرى تسلمها العراق حسب اتفاق التبادل بين العراق والولايات المتحدة))[٣٥].

وهنا نجد الدعاية البريطانية قد وظفت اللغة الإعلامية توظيفاً دقيقاً للتعبير عن أهدافها باستخدام صياغة توحي بأن الدبابات العشر الأمريكية وكأنها ليست هدية أنما مقابل ثمن .

وفي أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ اتسعت حالة التأييد الجماهيري لمصر ضد العدوان ، بينما كانت الدعاية البريطانية تبرز عدوانها على مصر بحجة أن العملية الإنكليزية – الفرنسية قد أحبطت مؤامرة روسية بالتعاون مع عبد الناصر للسيطرة على الشرق الأوسط ونشر الشيوعية ، وأن هذه المؤامرة كانت ستقع في الوقت المناسب ، وكانت إذاعة ((صوت بريطانيا)) باللغة العربية تؤكد لمستمعيها العرب أن الهدف هو التخلص من عبد الناصر .. غير أن الرأي العام العراقي كان مجمع على أن عبد الناصر لن يستسلم ولن يثور عليه شعبه وأن بريطانيا لا تستطيع أن تفعل شيئاً إزاءه ألا باحتلال القاهرة ومصر كلها احتلالاً عسكرياً مباشراً[٣٦].

وعلى أية حال ، فأن بريطانيا قد منيت بخسارة سياسية نتيجة اشتراكها في العدوان على مصر ، كما فشلت دعايتها في التأثير في الرأي العام وعلى أثر ذلك إشباع الأمريكان بأن فراغاً حدث في المنطقة وعلى الولايات المتحدة أن تملاه قبل أن يحتل الاتحاد السوفيتي هذه المنزلة فيه ، ولذلك فقد تضمنت رسالة رئاسية أمريكية في ٥/كانون الثاني/١٩٥٧ ، ما أصبح يعرف باسم مبدأ ايزنهاور ، حيث طلب إلى الكونغرس أن يخوله سلطة استخدام في الشرق الأوسط عند الضرورة لمنع الاتحاد السوفياتي من القيام بأي عمل عدواني في المنطقة .

وعلى الرغم من الترحيب الذي صدر عن الدوائر البريطانية الرسمية بمشروع ايزنهاور من حيث المبدأ ، غير أن المسؤولين البريطانيين في حقيقة الأمر غير مرتاحين للشكل الذي جاءت فيه مقترحات الرئيس الأمريكي ، إذ عد

هؤلاء المسؤولون أن هذه المقترحات تنطوي على إقصاء السياسة البريطانية من المنطقة[٣٧] وأخذت وكالة الأنباء العربية تزود الصحف العراقية بالأخبار والمعلومات المستقاة من الصحف الإنكليزية التي ناهضت مشروع ايزنهاور لأحل الحط من شأنه ، فوصفت جريدة (الديلي تلغراف) الإنكليزية الرئيس ايزنهاور في معرض تعليقها على مشروعه ، بأنه مثالي في التبشير بالسلام والدعوة له ، وأن هذه المثالية لا تنفع اتجاه الوضع الراهن في الشرق الأوسط ، فأن استنكار الرئيس جمال عبد الناصر لهذا المشروع دليل واضح على صعوبة موقف الرئيس ايزنهاور واستحالة التوصل إلى حل يرضي به الجميع ومن ثم فأن ذلك يدل على عدم كفاءة سياسة ايزنهاور المثالية في هذا الجزء من العالم[٣٨].

وذهبت الدعاية البريطانية في العراق عبر ما نقلته وكالة الأنباء العربية من اقتباسات من الصحف الإنكليزية وتنشر في بعض الصحف العراقية ، إلى أن الخطوات التي اتخذتها أمريكا لتطبيق المشروع كإرسال هندرسون إلى لاشرق الأوسط كانت قد أرغمت الدول العربية على أن تعلن رسمياً عما إذا كانت مع مبدأ ايزنهاور أو ضده ، فنتج عن هذا أن تألب المحايدون ضده ، وكانت أول نتيجة لهذه الأزمة الأردنية في نيسان ١٩٥٧ ومرة أخرى ساعد رد الفعل الأمريكي المذكور على التعجيل بعقد الاتفاقية العسكرية بين دمشق وموسكو[٣٩].

المعهد الثقافي البريطاني والاتصال الدعائي :

في عام ١٩٣٩ ومع نشوب الحرب العالمية الثانية كان يتوجب على بريطانيا توسيع نشاطها الدعائي في العراق ، ولذلك قدم المستر أدموندس والدكتور سندرس والمستر كرايس والمستر هايورد طلب إلى وزارة الشؤون الاجتماعية على منحهم إجازة لتأسيس نادي للثقافة البريطانية في بغداد[٤٠].

وباشر المركز أعماله في مطلع عام ١٩٤٠ ، فقد أوفد جماعة من المدرسين العراقيين إلى إنكلترا على نفقة المجلس الثقافي البريطاني وفضلاً عن

الطلبة العراقيين الذين يدرسون في المدارس والجامعات البريطانية فقد أختار المجلس مدرسين إنكليز لوزارة المعارف العراقية كما أنه أهدى كتب للمكتبات والمدارس الوطنية[٤١] ، لخلق وتنمية روابط لا شعورية بين متحدثي اللغة ومعتنقي الثقافة الإنكليزية وبين الدولة الأم ، أي أنها تؤدي إلى تعاطف وتفهم للدولة الإنكليزية .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية ظهرت بوادر جديدة لتوسيع نطاق الدعاية الثقافية البريطانية في الشرق العربي ومنها العراق وذلك على أثر نشاط الحكومة الفرنسية في هذا المضمار بعدما أخذت توفد الباحثين ورجال الفكر للدعوة إلى الثقافة والآداب الفرنسية ولذلك قرر المجلس الثقافي البريطاني القيام بتعزيز المعاهد الثقافية الموجودة في البلاد العربية وتوسيع دائرة نشاطها وذلك بإنشاء فروع لها في الألوية والمديريات والأكثار من زيارات نخبة من العلماء البريطانيين ورجال الثقافة إلى البلاد العربية وإلقاء المحاضرات والدعوة إلى الثقافة البريطانية[٤٢].

فضلاً عن زمالات المجلس الثقافي البريطاني الممنوحة للطلاب العراقيين حيث يقدم المجلس نفقات الزمالة والإعانات في المملكة المتحدة لمدة سنة دراسية أكاديمية واحدة أمدها عشرة أشهر تمضى في الجامعات أو المعاهد البريطانية التي يمكنها أن تقدم التسهيلات المطلوبة ، ويقبل في هذه المنح الذين أكملوا الدراسة الجامعية بنجاح وحصلوا على درجة علمية ومؤهلات مهنية ويفضل الطلاب الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٥-٣٥ سنة وعلى الطالب أن يستمر في المنهج الذي يختاره المجلس الثقافي البريطاني للمدة التي يراها مناسبة[٤٣] . فعلى سبيل المثال أشتركت عام ١٩٤٩ خمس أوانس عراقيات في دورتين برعاية المجلس الثقافي البريطاني ، نظمت خصيصاً للطلاب القادمين من وراء البحار بالتعاون مع جامعة ليفربول حول اللغة الإنكليزية والآداب ، والدورة

الأخرى عن ((مقام المرأة في المجتمع البريطاني اليوم)) والأوانس الخمس كلهن من خريجات كلية الملكة عالية[٤٤] . ولم يقتصر تقديم هذه المنح لخريجي الكليات المدنية بل تعدى ذلك الأمر إلى خريجي كلية الشرطة إذ أوفد المجلس الثقافي عدد من ضباط الشرطة للدراسة في معاهد الشرطة البريطانية . وأن مثل هذه الدورات تعقد سنوياً[٤٥].

وركز المعهد بفروعه العديدة في ألوية العراق على فتح الدورات باللغة الإنكليزية لاسيما تلك الخاصة لمعلمي اللغة الإنكليزية في المدارس العراقية ، وهو بذلك يمارس هيمنة ثقافية على الجمهور العراقي ، لأن عمق تأثير الأمم والشعوب بعضها ببعض ، يساعد عليه كثيراً عامل اللغة ، فقوة تأثير الغرب الرأسمالي في كثير من شعوب العالم شرقاً وغرباً ، لابد من أن يعود في جانب منها إلى انتشار لغاته وخاصة الإنكليزية ذات الاستعمال العالمي ، لأن نشر لغة أجنبية في مجتمع ما لا يمكن أن يقتصر على اللغة في حد ذاتها فقط ، وإنما يقترن به في العادة بث القيم والتقاليد لتلك اللغة[٤٦] . وبالطبع أن محتوى هذه الثقافة الوافدة يتناقض قليلاً أو كثيراً مع بعض مكونات الثقافة الوطنية ومن ثم الذاتية الثقافية ، ولاسيما إذا كان المجتمع لا ينتمي إلى الحضارة الغربية فأن ذلك يؤدي إلى صراعات وتشويهات على مستوى شخصية الفرد المتأثر بالثقافة الوافدة المتناقضة مع ما كان يحمله من قيم وتقاليد ومفاهيم ويزداد تأثير ذلك عمقاً إذا كانت طبيعة العلاقة بين هذين الصنفين من القيم هي من نوع ((غالب ومغلوب))[٤٧]. وفضلاً عن تعليم اللغة الإنكليزية من خلال فصول تدريسها في المعاهد البريطانية فأنه يعمل على :

أولاً – تمهيد السبل للطلبة لزيارة بريطانيا والوقوف شخصياً على ما هو عليه الإنكليز في بلادهم ومساعدة القائمين بالشؤون التربوية على اختيار المدرسين والكتب والأفلام السينمائية التربوية ، وتنظيم معارض الكتب

في أندية المعاهد البريطانية أو في المدارس العراقية ولأجل ايلاء هذه المعارض أهمية تقوم بعض الشخصيات البريطانية المهمة بزيارة هذه المعارض ، فعلى سبيل المثال عندما أقام المجلس الثقافي البريطاني في بغداد معرض للكتب الإنكليزية الحديثة في بناية روضة الأطفال في الباب الشرقي في كانون الأول عام ١٩٤٧ ، قام بزيارته أنطوني أيدن وزير خارجية بريطانيا السابق[٤٨]. وكما يتضمن المعهد البريطاني معارض سنوية لفن الرسم يساهم فيها عدد من الفنانين الإنكليز وكبار الفنانين العراقيين أمثال عطا صبري وأكرم شكري وجواد سليم ولورتا سليم وحافظ الدروبي وقاسم ناجي[٤٩] . ويرسل المجلس البريطاني المحاضرين الإنكليز بمختلف الاختصاصات بما يحقق الغاية السياسية وهي إدامة التبعية السياسية والثقافية والاقتصادية لبريطانيا فعلى سبيل المثال ، أوفد المجلس السيدة كاترين والتي كانت مستشارة التمريض الأولى في وزارة الصحة البريطانية لإلقاء محاضرة وعرض فلم عن شؤون التمريض في بريطانيا فضلاً عن إلقاء المحاضرات على عدد كبير من طالبات المدارس الثانوية في العراق[٥٠].

ثانياً - النشر بين العامة لمعرفة تلك الأشياء التي من شأن المجلس البريطاني أن يجعلها معروفة عن طريق الصحافة والأفلام وتوزيع الكتب والروايات والمسرحيات ، وفضلاً عن تزويد رواد المعاهد الثقافية من العراقيين بالأفلام والكتب والنشرات الدورية تقوم المعاهد في بغداد أو المحافظات بتزويد المدارس العراقية باللغة الإنكليزية والنشرات الدورية والصور عن الموضوعات الثقافية ، كما أن المعهد في بغداد يصدر نشرة إخبارية للتعريف بنشاطاته[٥١] .

ولكي يقوم المجلس بأداء مهامه بدقة ويحقق غايته الدعائية فأنه يختار مدراء فروعه في بغداد والألوية العراقية من الذين لهم خبرة ودراية بشؤون البلد والمنطقة ، فعندما أختير الدكتور نورمان دانيال مديراً للمعهد الثقافي البريطاني ببغداد عام ١٩٥٨ ، فهو من الإنكليز الذين سبق وأن عمل عام ١٩٤٧ في المركز البريطاني في البصرة وهو خريج جامعة أكسفورد وله أطروحة بعنوان التفهم اللاتيني للإسلام بين سنة ١١٠٠ وسنة ١٣٥٠[٥٢].

مكاتب الإرشاد والاتصال الدعائي التكميلي :

من المعروف أن لكل وسيلة اتصال خصائصها المنفردة ومحدودية فاعليتها في مجال واحد ، مما يستدعي الحاجة إلى تكميلها أو مساندتها بوسائل أخرى لإحداث التأثير المطلوب ، وأن الهدف الأساسي من استخدام عدة وسائل، هو الوصول إلى كل فرد ومحاصرة الجميع ، وإذا لم يتحقق للدعاية الاحتكار وتحديد مسارها في قنوات نفسية مسبقة فيمكن أن تثبت تلك الدعاية فعاليتها إذا ما استكمل الجهاز الدعائي المركزي المتمثل في توزيع الصحف والنشرات والإذاعة والسينما بالمناقشات المحلية التي تتم في جماعات صغيرة وعن طريق الاتصال المواجهي الشخصي بين الداعية أو من يمثله والجماعات الصغيرة . وهذا ما فعلته بريطانيا في العراق عندما فشلت ثورة مايس ١٩٤١ ودخل الإنكليز العراق ثانية لاحتلاله ، عملوا على استتاب الأمور بيدهم وفرض سيطرتهم على العراق وجدوا من الضرورة أن تزداد دعايتهم فاعلية وقوة في التأثير باتجاه كسب الرأي العام العراقي حتى يستكين للسياسة البريطانية ، فمن بين ما قاموا به ، فتحوا مكاتب دعائية تسمى ((مكاتب الإرشاد)) أو ((مكاتب الشباب الحر)) في بغداد والألوية فضلاً عن بعض الأقضية ، ويديرها ضباط سياسيون بريطانيون ، فكان اتصال هؤلاء الضباط مستمر بأبناء الأرياف وزعمائهم ورؤسائهم ، وكانت حركتهم دائمة وتجوالهم لا ينقطع في القرى

والدساكر البعيدة ، كما كانت حفلاتهم في المدن متواصلة ومكاتبهم غاصة بالمراجعين ، واستخدمت هذه المكاتب بعض الموالين لبريطانيا للقيام بجمع الأخبار والمعلومات عن الحوادث على أنواعها ، وأن أكثر من يقوم بذلك إنما يقوم به بسبب الفقر والحاجة[٥٣].

وكان بعض رجال الحركة الوطنية العراقية يرى أن المقتضيات الضرورية لوجود مثل هذه المكاتب قد أنتهت مع نهاية الحرب العالمية الثانية ، ((وأن بقاء بعض الناس من عراقيين وغير عراقيين في هذه الخدمة ... عار لا يمثله عار وذل واستسلام ما بعده استلام))[٥٤].

ألا أن الحكومة العراقية كانت تدافع عن وجود مثل هذه المكاتب ، ففي سؤال للنائب عبد الرزاق حمود من البصرة ، والموجه إلى رئيس الوزراء في جلسة الأسئلة لمجلس النواب عام ١٩٤٨ ، عن نشاط مكاتب الإرشاد غير المرغوب فيه ، فذهب رئيس الوزراء إلى أنها مراكز ثقافية تهدف إلى نشر الثقافة الأوربية ، وأن هناك فوائد لمن يتثقف بهذه الثقافة لأنه وحسب قول رئيس الوزراء ، أنه وجد في أدوار الكفاح ضد الاستعمار في الشرق أن الذين كتب لهم أن يتثقفوا بالثقافة الغربية كانوا من أشد المعاول للقضاء على الاستعمار[٥٥].

وتوجد في مكاتب الإرشاد غرف لمطالعة الكتب والمنشورات التي تم تأمينها عن طريق دائرة الاستعلامات في السفارة البريطانية فضلاً عن عرض الأفلام السينمائية لاسيما الجرائد السينمائية التي تتناول أخبار بريطانيا ونشاطات رجال السياسة فيها[٥٦].

وغالباً ما تستخدم مكاتب الإرشاد مكبرات الصوت التي تربط على جهاز الراديو لبث المواد الإذاعية من إذاعة لندن إلى الجمهور بشكل أوسع وغالباً ما يتجمع الجمهور أمام مكاتب الإرشاد للاستماع إلى نشرات الأخبار لاسيما الأخبار

المهمة فيها ومن الشواهد على ذلك تجمع جمهور غفير من أبناء الناصرية أمام مكتب الإرشاد عندما انتشرت إشاعات حول استسلام اليابان للحلفاء عام ١٩٤٥، للاستماع إلى هذا الخبر من الراديو[٥٧].

الدعاية البريطانية واستخدامات وسائل الاتصال الجماهيري :

١ - الإذاعـــة :

يبدو من خلال معلومة أوردتها جريدة الحوادث بأن القوات البريطانية في أعقاب ثورة مايس ١٩٤١ ، أسست إذاعة في البصرة خاصة بها تبث باللغة الإنكليزية وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية ولعدم حاجة القوات البريطانية إليها فقد فاتحت الحكومة العراقية الجهة البريطانية لشراء هذه المحطة وإبقائها في البصرة لتذيع باللغة العربية برامج مطابقة لبرامج إذاعة بغداد[٥٨].

وفي القاعدة الجوية لسلاح الطيران الملكي البريطاني في الحبانية توجد محطة إذاعة تبث باللغة العربية لمستمعيها من أفراد رجال الجيش والبحرية والطيران ممن يعملون بالعراق ويشمل البث الوحدة الجوية في الأردن وكذلك منطقة الخليج العربي ومحطة ((ماوريبور)) بالقرب من كراتشي وتضاف أسطوانات خاصة تلبية لرغبات المستمعين المدنيين الذين يعملون في آبار النفط في الموصل وكركوك والبصرة والكويت ، والمحطة تبث على موجة طولها ٥٠٠ متراً بذبذبة قدرها ١,٥ ميجا سكل[٥٩].

وفي عام ١٩٥٥ قدمت السفارة البريطانية طلب إلى الحكومة العراقية لتأسيس محطة إذاعة في قاعدة الشعيبة للترفيه عن أفراد القوة الجوية العسكرية والمدنيين الساكنين في منطقة المعسكر . ودارت مداولات بصددها بين وزارة الخارجية والمواصلات والداخلية ، وأخيراً أقر مجلس الوزراء المقترح في آذار ١٩٥٥[٦٠] .

وكان القسم العربي من هيئة الإذاعة البريطانية الذي تأسس في الثالث من شهر يناير عام ١٩٣٨ ، أهم وسيلة من وسائل الدعاية البريطانية في الشرق الأوسط ومنه العراق ، ومثلما كانت خلال الحرب العالمية الثانية ، وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية زار العراق ممثل محطة إذاعة لندن في الشرق الأوسط والمعاون العربي له ، ومعهم وحدة إذاعية لتسجيل أحاديث لبعض الشخصيات العراقية المعروفة بما يتناسب ومرحلة ما بعد الحرب فضلاً عن تسجيلات لمقرئي القرآن ، والمطربين[٦١] . واستمرت زيارات رجال الدعاية البريطانيين إلى العراق بما يفعل دور القسم العربي من هيئة الإذاعة البريطانية ، ففي شهر نيسان ١٩٤٩ زار العراق المستر تي – أو – بيجكروفت معاون رئيس دائرة الدعاية الخاصة بمصلحة إذاعة ما وراء البحار التابعة لهيئة الإذاعة البريطانية ، لبحث الدعاية لإذاعة لندن العربية وتزويد الصحف العربية بالمطبوعات العامة والكتيبات وما شاكل ذلك مما تزود به الدائرة المذكورة الصحف التي تصدر باللغة الإنكليزية في مختلف أنحاء العالم[٦٢].

وسعت الإذاعة لتحسين طرق تدفق الأنباء من العراق إلى قسم نشرات الأنباء الخارجية فيها لإذاعتها على وفق السياسة الإعلامية لهيئة الإذاعة البريطانية ، وتم ذلك من خلال زيارات رئيس قسم الأنباء الخارجية إلى العراق والاجتماع بالصحفيين العراقيين باعتبارهم أكثر شرائح المجتمع دراية بهذا الخصوص[٦٣].

ولكي تزيد هذه المحطة من أنصالها بالمستمع العراقي ، استمرت على إرسال مندوبيها لاستطلاع آراء الجمهور العراقي ، كما تركزت البرامج التي تخص العراق على تطوير العراق وما يتطرق إلى مستقبل العراق الزاهر وأهمية النفط في تطويره ، وهي بذلك توحي إلى أهمية جهود شركات النفط البريطانية

في تطوير العراق ، ومن أمثلة هذه البرامج ((العراق اليوم)) و ((النفط في العراق)) و ((المستقبل للعراق))[٦٤].

وكان للخطاب الدعائي البريطاني نفوذ في الإذاعة العراقية من خلال التعاون بين إذاعة لندن والإذاعة العراقية ، إذ ترسل الأولى نشراتها الإخبارية المطبوعة إلى إذاعة العراق حيث قررت لجنة الإذاعة العليا الاستفادة منها وإعادة بث بعضها من راديو بغداد ، فضلاً عن المعلومات الواردة حول تنظيمات الإذاعة وتطبيق بعضها في الإذاعة العراقية[٦٥] . بما يحقق التبعية الإعلامية.

وفي سبيل تأكيد الخطاب الدعائي المذاع في أذهان الجمهور ، يقوم القسم العربي من هيئة الإذاعة البريطانية بإصدار مجلة المستمع العربي ومنذ عام ١٩٤٠ مرتين في الشهر والتي أصبحت تصدر مرة واحدة في الشهر منذ عام ١٩٥٠ ، حيث تنشر هذه المجلة تفاصيل البرامج والأحاديث المهمة التي تمت إذاعتها وما سيتم إذاعته مستقبلاً ، وكانت توزع في العراق وتدخل المدارس العراقية وبموافقة وزارة المعارف على سبيل الهدية[٦٦].

أما محطة الشرق الأدنى التي بدأ بثها في الثالث من أيلول ١٩٤١ لتلبي حاجة بريطانيا للعمل الدعائي في منطقة الشرق على وفق مقتضيات الحرب ، ففي أعقاب الحرب استمرت هذه الإذاعة بنفس الاسم حتى عام ١٩٥٦ ، حينما اكتشفت هويتها الإنكليزية بتغير أسمها إلى صوت بريطانيا ، على أثر العدوان الثلاثي على مصر .

وسعت هذه المحطة إلى أن يكون لها حضور لدى المستمع العراقي من خلال الزيارات التي تقوم بها وحدات التسجيل الخاصة بها إلى العراق لتسجيل الأحاديث لبعض الشخصيات العراقية الرسمية والشعبية فضلاً عن الاتصال بالفنانات والفنانين المعروفين لتسجيل ألوان الغناء العراقي لاسيما المقام العراقي الذي يؤديه محمد القبانجي[٦٧] . وفي سبيل تعزيز حضورها لدى المستمع

العراقي سعت محطة الشرق الأدنى إلى معرفة اتجاهات الجمهور العراقي وما هي البرامج التي يفضلها والتي تختلف باختلاف طبقات الشعب وكما يذهب إلى ذلك مدير المحطة حيث أدرك ذلك من خلاله زياراته المتعددة إلى العراق ، فالطبقة المثقفة تقبل على سماع البرامج الأدبية وتهتم بالأغاني العصرية والإقبال على سماع الموسيقى الغربية وتفضل الطبقات الأخرى الاستماع إلى الأغاني والمنلوجات الخفيفة ولذلك عمدت المحطة إلى تسجيل الإشعار التي يغنيها المطربون ومنها الزهيري والنائل والعتابا والمربع والأبوذية[٦٨] كما كانت المحطة حريصة على أن تكون مسموعة في العراق ، فقد زار العراق مراقب قسم الهندسة فيها للإطلاع على كيفية التقاط الموجات العاملة في المحطة وقوة الاستماع إليها في العراق وكانت الوسيلة التي استخدمها في ذلك جهاز راديو صغير لالتقاط بث الإذاعة في أماكن مختلفة من بغداد ، فكانت أفضل الموجات التي يمكن الاستماع إليها هي (٣١) و (٤٤) و (٤٩) فضلاً عن الموجة المتوسطة (٤٧٢) متراً بعد غروب الشمس ، هذا ما نبهت إليه المحطة مستمعيها في العراق[٦٩].

وحرصت المحطة على أن تكون نشراتها في متناول كل من يرغب في الحصول عليها من المستمعين ، فوضعت نظاماً للاشتراك يقتضي فيه من العراقيين دفع بدل الاشتراك السنوي إلى البنك العربي ببغداد وقدره (٢٥٠) فلساً فيتسلم من البنك بطاقة اشتراك مطبوعة يملأ عليها أسمه وعنوانه ويرسل بها إلى أستوديوهات السيد بدير للتسجيل ٣٧ في القاهرة[٧٠].

ولإذاعة الشرق الأدنى مراسلة في العراق وهي صبيحة الشيخ داود التي تقوم بتزويد القسم النسوي في المحطة بأخبار المرأة العراقية وتقديم صورة حية عن نشاطاتها في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية[٧١].

ويبدو أن هناك تنسيق بين إذاعة بغداد وإذاعة الشرق الأدنى في مواعيد نشرات الأخبار ، فعندما كان موعد نشرة الأخبار الأولى من إذاعة بغداد يتعارض مع موعد نشرة الأخبار من راديو الشرق الأدنى فقد عمدت إذاعة بغداد إلى تغير موعد النشرة من الساعة الخامسة والربع إلى الساعة الخامسة والنصف لفك مثل هذا التعارض بحجة النزول عند رغبة الجمهور[٧٢].

٢ - الصحافة :

مع أن الدعاية أقترنت بعد الحرب العالمية الأولى بالإذاعة التي أثبتت فاعلية قوية خلال الحرب العالمية الثانية وازدادت فاعليتها خلال الحرب الباردة لما تمتاز به الإذاعة من قدرة على اجتياز الحدود الجغرافية والتغطية الواسعة فضلاً عن اجتيازها لأحد أهم معوقات الاتصال وهو الأمية ، ألا أن هذا لم يفقد الصحافة أهميتها بالنسبة للجمهور القارئ لما تمتاز به من قدرة على معالجة الموضوعات معالجة كاملة وتناول تفاصيلها الدقيقة فضلاً عن مكانتها المرموقة لدى الأفراد بما ينعكس على إمكانية تأثيرهم بمضمونها ، لأن الصحافة من أقدم وسائل الاتصال الجماهيرية مما جعل العلاقة تقليدية بينها وبين الثقافة ، وانطلاقاً من الإيمان بقوة الصحافة في التأثير بالنسبة للجمهور القارئ والذي يشكل النخبة فقد استخدمت بريطانيا الصحافة وسيلة من وسائلها الدعائية وعلى صعيدين:

الأول : الصحف التي تنطق باسم السياسة البريطانية في العراق ، وتعد جريدة العراق أهم هذه الصحف ، وهي الصحيفة التي صدرت في ١٩٢٠/٥/٣١ بدلاً عن جريدة العرب التي أصدرها البريطانيون في بغداد في ١٩١٧/٧/٤ بعد احتلال بغداد ، واستمرت جريدة العراق بالصدور إلى عام ١٩٤٧ حيث توقفت على أثر وفاة رئيس تحريرها رزوق داود غنام ، وكان لهذه الجريدة خطأ

سياسياً يعبر عن المصالح البريطانية في العراق ويدافع عنها ويبشر بها بأسلوب يعتقده القارئ بأنه خطاب من وسيلة عراقية إلى جمهور عراقي .

ألا أن جريدة الأوقات العراقية الصادرة باللغة الإنكليزية تعد أطول الصحف البريطانية في العراق عمراً ، وهي الصحيفة التي تطورت عن صحيفة الأوقات البصرية ، التي صدرت في البصرة عام ١٩١٤ بعد دخول القوات البريطانية إلى البصرة ، وكانت الأوقات البصرية تحت أشراف الجنرال ويلسن ، واعتباراً من عام ١٩١٦ أصبحت تحت إدارة الهيئة المدنية ، ولكن في عام ١٩٢١ بيعت إلى الشركة التي تملكها ((الشركة العراقية المحدودة)) وفي كانون الثاني ١٩١٨ ، انشأت جريدة ((الأوقات البغدادية)) وظلت الجريدتان تصدران سوية وتملكهما شركة الطباعة والنشر المحدودة ابتداءً من عام ١٩٢١ وخلال الفترة بين عام ١٩٢١ وعام ١٩٣٣ ، أبدأ اسم ((الأوقات البصرية)) بـ ((أوقات ميسويوتميا)) وفي عام ١٩٣٣ وحدت الجريدتان على أثر تحسن المواصلات بين العاصمة والألوية الأخرى ، وأصبحت الجريدة تسمى ((الأوقات العراقية)) وكان اهتمامها منصباً على الأخبار أكثر من إبداء الآراء[٧٣].

وبذلك فأن الدعاية البريطانية تسعى إلى أن تتخذ شكلاً موازياً للحقيقة فتنساب برسائلها في تيار الحياة اليومية للناس من دون أن ينتبهوا إليها وإذا بأفكارها تسري فيهم وذلك لأن تأثير الأخبار أقوى من وجهات النظر لأن القارئ يعتقد بأن الأخبار هي تعبير عن حقائق مجردة فضلاً عن أن الداعية كثيراً ما يخلط الأخبار المجردة بالأفكار وتمزج الحقائق بالآراء لأغراض سياسية وبما يتفق مع توجهات الداعية . وبذلك فأن الصحيفة تحتال على القارئ بأدخال مادة الدعاية في رأسه وكأنها جزء من الحقيقة .

وجريدة الأوقات العراقية تمثل في العراق جريدتان إنكليزيتان هما التايمز والنيوز كرونكل تمثيلاً مباشراً ، إذ أن مراسلي هاتين الجريدتين عضوان في هيئة تحرير جريدة الأوقات العراقية[٧٤].

وعندما احتجت الصحافة العراقية عن الصور يوم ١٥ تشرين الثاني ١٩٥١ ، وفقاً لقرار جمعية الصحافة العراقية التي قررت الاحتجاب تضامناً مع مصر الشقيقة ، فلم تحتجب جريدة الأوقات العراقية عن الصدور مخالفة بذلك قرار جمعية الصحابة العراقية ، فقد كتبت جريدة الزمان عنها تقول ((ونحن نعرف أن هذه الجريدة أجنبية ولا نريد أن ننكر عليها عملها في مجارات الأهداف الاستعمارية ولكننا نعرف في الوقت نفسه أن هذه الجريدة تصدر في عاصمة العراق وفي بلد عربي ، يتطلع أبناؤه إلى الحرية والاستقلال والتخلص من الاستعمار الأجنبي وأن قراءها هم من أبناء هذا البلد ، فكان الذوق السليم يقضي عليها بالاحتجاب يوم أمس احتراماً لشعور قراءها على الأقل وكرامة البلد الذي تعيش فيه))[٧٥].

وتصدر السفارة البريطانية في بغداد ((نشرة الأخبار اليومية)) وتبين أن صدور هذه النشرة لم يكن على وفق ما جاء بمنشور وزارة الخارجية العراقية المرقم د/٩٩٨/٦٠٠/١٦٨١٧ في ١٩٥٦/٦/٢٦ فيما يتعلق باستحصال موافقة المراجع العراقية المختصة[٧٦]. ولذلك طلبت وزارة الخارجية من السفارة البريطانية إيقاف إصدارها ومن ثم استحصال الموافقة على ذلك ، ويبدو أن الحكومة العراقية قبل هذا التاريخ كانت متساهلة حيال النشرات التي تصدرها الهيئات الدبلوماسية في العراق ولكن بعد أن أخذت السفارة المصرية في بغداد تصدر نشرة مماثلة من دون استحصال موافقة الحكومة العراقية ، وأن هذه النشرة تحمل من المعلومات بما لا يتفق والسياسة العراقية الموالية للغرب لجأت

الحكومة العراقية إلى التشديد على الالتزام بأحكام مرسوم المطبوعات رقم ٢٤ لسنة ١٩٥٤[٧٧].

الثاني : التسلل إلى الداخل بواسطة بعض الصحف العراقية الصادرة آنذاك ومن الصحف الصديقة للسياسة البريطانية كما تؤشر ذلك الوثائق الأمريكية ، جريدة الأخبار ، وجريدة العالم العربي وجريدة الحوادث وجريدة الشعب، وجريدة الزمان وجريدة النداء[٧٨] .

ومن جانب آخر هناك هيمنة إعلامية بريطانية على الصحافة العراقية عموماً من خلال الأخبار والتقارير المنشورة فيها ، ويرجع ذلك إلى نفوذ وكالات الأنباء البريطانية رويتر ، ووكالة الأنباء العربية ، فقد بدأ نشاط وكالة رويتر في العراق مع دخول القوات البريطانية إلى العراق عام ١٩١٤ ، أما وكالة الأنباء العربية فقد أسسها في القاهرة في ٢٣/مايو/١٩٤١ المستر ولتن (Walton) الذي كان يشغل منصب مدير الدعاية والنشر في السفارة البريطانية في القاهرة[٧٩] . وكانت هذه الوكالة الأولى من نوعها لنشر الأنباء باللغة العربية مباشرة من بلد عربي إلى بلد عربي آخر وكان لها عدة فروع في العواصم الشرق أوسطية ، وكان ثاني مكتب لها بعد القاهرة في بغداد حيث تسس في تموز ١٩٤١ وتولى إدارته سلمان الشيخ داود[٨٠] ، وفي أيلول ١٩٤١ افتتحت الوكالة خطاً لا سلكياً بين بغداد والقاهرة وترسل على موجاته نشراتها الإخبارية إلى العراق[٨١] . وكانت وكالة الأنباء العربية (ANN) الوحيدة التي تبث إخبارها مباشرة إلى الصحف العربية في بغداد ، وكانت تتحمل خسائر مالية كبيرة لأنها تقدم خدماتها إلى الصحف العراقية مجاناً ، لكنها كانت تهتم كثيراً بجوانب الدعاية في أخبارها أكثر من أن تهتم بتقديم خدمة إخبارية موضوعية[٨٢].

وفي عام ١٩٥٤ اشترت وكالة ANN حقوق رويتر في نشر الأنباء في الشرق الأوسط واشترت جميع مكاتبها في المنطقة وبذلك أقفلت رويتر أبوابها

في الشرق الأوسط على أن تحتفظ رويتر بمراسلين فيه ، مهمتهم الحصول على الأخبار وتوزيعها ، إذ أن توزيع الأنباء انتقل إلى وكالة ANN[٨٣] . أن اعتماد الصحف العراقية على وكالات الأنباء الغربية من شأنه أن يخلق رأياً عاماً منحازاً للمصالح الغربية ، حيث ذهب كثير من مخططي الدعاية الغربية إلى التأكيد على أن الخبر يقود إلى تأثير في الناس إلى مستوى واسع ولذلك فأن الدعاية البريطانية كانت تحرص على انتقاء الأخبار وبثها عبر الوسائل الدعائية في العراق ، وتبرز خطورة ذلك في أن أغلبية الصحف العراقية كانت تنقل الأخبار من هذه الوكالات وبما يتفق مع السياسة الإعلامية لتلك الوكالات حتى دون أن تجري عليها تعديلات تحريرية أو استبدال بعض رموزها التي لا تتفق مع القيم الاجتماعية والوطنية السائدة لدى الرأي العام في العراق والأخبار كرسائل إعلامية لها مضامينها السوسيو ثقافية الرامية ليس فقط إلى أشغال الرأي العام بما يجري في العالم الغربي فحسب وإنما وضع الأسس المرجعية لعمليات التقييم لما يدور في العالم من خلال ما يجري في العالم الغربي[٨٤]. وهذا بدوره يؤدي إلى نوع من الاستعمار الإعلامي .

٣ - السينما :

استخدم البريطانيون الجرائد المصورة والأفلام التسجيلية في أثناء الحرب العالمية الثانية لإشراك الشعب العراقي في المجهود الحربي ، ولاسيما بعد تأسيس دائرة العلاقات العامة في السفارة البريطانية في حزيران ١٩٤١ إذ تم تعين ضابط مسؤول عن الأفلام التي تجهز إلى دور السينما في الدائرة لعربيات سينما تجوب العراق لعرض الرقوق السينمائية الدعائية .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية استمرت دائرة العلاقات العامة في السفارة البريطانية على استخدام هذه الوسيلة المهمة للتأثير في الرأي العام العراقي لصالح السياسة البريطانية ، مما يزيد من قوة تأثير هذه الوسيلة ،

تجوال سيارات السينما قبل العرض في شوارع المدن وهي تعزف الأنغام الموسيقية والأغاني فضلاً عن تزينها بالإعلام والأنوار الكهربائية البديعة[٨٥] مما يخلق أجواء اتصالية مناسبة ولاسيما وأن العرض يتم في الهواء الطلق .

وتجري عروض خاصة في دائرة العلاقات العامة في السفارة البريطانية لكبار رجال السياسة العراقيين أمثال رئيس الوزراء والوزراء ورئيس أركان الجيش والوجهاء والأوانس والسيدات بنات وزوجات كبار الشخصيات في العراق، وبعد العرض الخاص يتم عرض الأفلام في دور العرض العامة ومن أمثلة أفلام العرض الخاص ، فلم تتويج الملك عبد الله وفلم الاحتفال بيوم النصر[٨٦] ، وليس بالضرورة أن تنطوي موضوعات الأفلام على مضامين سياسية ، إذ أن مديريات الاستعلامات البريطانية تعرض الأفلام البريطانية بما يؤكد تقدم صناعة السينما في بريطانيا ومن الأمثلة على ذلك ، عندما دعا سكرتير الاستعلامات الأول في السفارة البريطانية الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء إلى حفلة خاصة لمشاهدة فلم أخباري ورواية ((الحذاء الأحمر)) وهو فلم ملون يصور حياة الفنانين بما فيها من إبداع ومواهب وهذا الفلم في حينه آخر ما أنتجته الاستوديوهات البريطانية ، وقد تجلى فيه مدى التقدم الفني السينمائي في بريطانية[٨٧] ، ويبدو أن دائرة العلاقات العامة البريطانية تعرض الأفلام من دون موافقة وزارة الداخلية العراقية ، على وفق الفقرة الثانية من المادة الأولى من قانون مراقبة الرقوق السينمائية رقم ٢٦ لسنة ١٩٤٠ ، وظهر ذلك من خلال المخاطبات بين مديرية الدعاية العامة ووزارة الخارجية العراقية والسفارة البريطانية حول ذلك ، وكانت حجة السفارة في ذلك هو عدم ممانعة وزير الداخلية في هذا الخصوص وأن السلطات المحلية المختصة تعلم أوقات عرض الرقوق السينمائية خارج بناية السفارة منذ عام ١٩٤١ ، وأن القانون لم يشترط وجوب الحصول على إجازة تحريرية قبل عرض هذه الرقوق ، وأن السفارة

تلاحظ بأن القصد من القانون هو منع عرض الرقوق التي تضر بالأخلاق العامة والمصلحة العامة ، وكرامة العراق وأن الرقوق التي تعرضها دائرة الاستعلامات البريطانية لا يجد فيها شيء من هذا القبيل ...[٨٨].

وتسللت الدعاية البريطانية بواسطة السينما إلى المدارس العراقية عن طريق إهداء مديرية العلاقات العامة البريطانية والمجلس الثقافي البريطاني عدد من الأفلام إلى وزارة المعارف على أساس أن هذه الأفلام من الأفلام التربوية التثقيفية والتي تستعمل في المدارس الابتدائية والمتوسطة في بريطانيا[٨٩] .

فضلاً عن ذلك ، كان لشركة النفط العراقية المحدودة دور في إنتاج الأفلام السينمائية ، ففي عام ١٩٥٢ استخدمت هذه الشركة وحدة صغيرة للأفلام في بغداد ، تقوم بإنتاج أفلام ذات صيغة رسمية تحتوي على فقرات تخص الشركة وأخرى تخص ما أحرزه العراق من تطور[٩٠] وحتى عام ١٩٥٥ أنتجت هذه الوحدة ((١٥)) فلماً ، كان من أهمها سلسلة أفلام ((بلادنا)) التي عرضت في دور السينما العراقية[٩١] وكما انتجت الوحدة فلم نفط العراق والذي عرض في شركة نفط الموصل المحدودة في عين زالة بعد أن وجهت الدعوة إلى كبار الموظفين وبعض الوجهاء ورؤساء العشائر في قضاء تلعفر لمشاهدة هذا الفلم[٩٢] .

فضلاً عن هذا الفلم عرض فلم آخر ((نحن والعالم)) في نادي المنصور بعد أن لبى دعوة السر هريرت والليدي تود عدد كبير من الرجال والنساء العراقيين والأجانب ، والفلم الثاني يكمل قصة الفلم الأول ، حيث يسرد الأول قصة التنقيب والحفر وإنتاج النفط في العراق ، والثاني يسرد بقية القصة عن كيفية توزيع منتجات نفط العراق ، وكيفية استخدامه في الصناعة والمواصلات والزراعة في كثير من بلاد العالم وكيف يستفيد العراق من عوائد نفطه الخام ، وقد وضع الفلم في شكل حوار بين طبيب عراقي وجغرافي عراقي واسع الترحال

فيتفحص الأثنان الحقائق الاقتصادية التي تتحكم بإنتاج النفط الخام نفسه ، ((وأن العراق ينفق عوائد نفطه بحكمة وتبصر على تنمية الصناعة والزراعة ، وأن العراق يساهم مساهمة فعالة في تقدم العالم[٩٣] ، وأن مضامين هذه الأفلام تؤكد فضل بريطانيا على العراق في استغلال ثروته النفطية والتي لو لا بريطانيا لما استطاع العراق إلى ذلك سبيلاً ، فضلاً عن إظهار العراق في هذا المجال ، دولة تساهم في تنمية مرافق الحياة في البلدان الأخرى ، وبما يعطي الانطباع بأن بريطانيا ليس وحدها هي المستفيدة من نفط العراق .

الخاتمة :

حينما انتهت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ، التي كانت فيها الدعاية سلاح رئيسي وفاعل في المواجهة العسكرية بين دول الحلفاء ودول المحور ، لم يتوقف النشاط الدعائي لمجرد توقف العمليات العسكرية ، بل أصبح العمل الدعائي نشاطاً دولياً يمارس بشكل اعتيادي بمستوى قوة الحرب الباردة بين العسكريين الرأسمالي والاشتراكي .

ويعدّ العراق من الدول الشرق أوسطية المهمة على وفق الاعتبارات الستراتيجية للسياسة البريطانية ، لما موجود فيه من كميات وفيرة من النفط ، فضلاً عن موقعه الجغرافي المتميز على طريق المواصلات الحيوية . ولذلك سعت بريطانيا للمحافظة على مصالحها الحيوية في العراق مستخدمة جميع البل المؤدية إلى ذلك ومنها العمل الدعائي في سبيل كسب الرأي العام العراقي إلى جانبها أو تضليله بما يخدم مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية في العراق .

فقد سعت الدعاية البريطانية في العراق إلى استغلال المواقف القائمة لدى الجمهور العراقي اتجاه الأحداث والوقائع والأوضاع في سبيل توفيق الاتجاه العام للدعاية مع أحداث الواقع ، حيث أستغلت الدعاية البريطانية موضوع فلسطين

بعده موضوع يشغل الرأي العام العراقي ، كموضوع دعائي لتقوية نفوذها من خلال إظهار بريطانيا بمظهر الدولة العاطفة على قضايا العرب المصيرية . كما اتجهت الدعاية البريطانية في العراق أتجاه التبشير بأن بريطانيا غادرت ما عرف عنها بأنها دولة استعمارية وأنها نهجت سياسة إنشائية وعمرانية في العراق بما يؤدي إلى إشاعة روح الاستقرار والطمأنينة في المنطقة .

ومنيت الدعاية البريطانية بفشل ذريع على أثر العدوان الثلاثي على مصر ، إذ أن الرأي العام العراقي لم يعد يصدق منطق الدعاية البريطانية المبني على تصوير جمال عبد الناصر بأنه ينفذ مؤامرة دولية في المنطقة لصالح الشيوعية.

الهوامش :

١. د. الحسان بو قنطار، العلاقات الدولية ، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ١٩٨٥، ص ويعتقد أن والتر ليجان هو أول من خصص دراسات لطرح هذا المفهوم، غير أن البعض يعتبر أن الجذور الأولى والغير مباشرة للحرب الباردة تكمن في التحولات البطيئة التي كان يعرفها النظام الدولي انطلاقاً من الثورة السوفياتية في سنة ١٩٧١. أما الأسباب المباشرة فتكمن في التطورات التي عرفتها العلاقات الدولية ما بين مؤتمر بالطا (١٩٤٤/١١/٤) وما سمي بأزمة كوريا. فكانت نهاية مؤتمر بالطا تغيير بداية ما سمي بالحرب الباردة، حيث كل طرف ((أمريكا، بريطانيا، الاتحاد السوفيتي)) سمي إلى تدعيم مركزه وخلق مناطق نفوذ له.

٢. د. عبد الستار جواد، اتجاهات الأعلام الغربي، دراسة في الأعلام الانكلو – أمريكي، بغداد ، وزارة الثقافة والأعلام، مركز التدريب الإعلامي، ١٩٩٥، ص٢٢.

٣. إسماعيل صبري مقلد، الاستراتيجية والسياسية الدولية، المفاهيم والحقائق الأساسية، ط٢، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٥، ص٢٩٧.

– الدول الثلاث هي : ١) الولايات المتحدة الامريكية؛ ٢) الاتحاد السوفيتي؛ ٣) الصين.

٤. ستيفن جروبارد، أوربا الجديدة، نهضة أوربة بعد الحرب العالمية الثانية، ترجمة د. حسن صعب ، نيويورك ، مؤسسة فرنكليت، ١٩٦٨، ص٢١١.

٥. حامد ربيع، نظرية الدعاية الخارجية، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، مطبوع بالرويتر، ١٩٧٣، ص١٤٠-١٤١.

٦. ديفد ديفس، اللغة والإمبريالية، سلمان داود الواسطي، مجلة الموقف الثقافي، بغداد، العدد ٣ ، آيار – حزيران ١٩٩٦، ص١١.

٧. د. إبراهيم عبدة، دراسات في الصحافة الأوربية، مكتبة الآداب بالجيمامزت، ط٢، ١٩٥٢.

٨. د. محمد علي العويني، الأعلام الدولي بين النظرية والتطبيق، ط٢، القاهرة، مكتبة الانجلو مصرية، ص١٦٤.

٩. د. إبراهيم عبدة، م.س.ذ، ص١٨٣.

١٠. المصدر نفسه، ص١٩٣-١٩٤.

١١. مجموعة من الباحثين السوفيتيين، الأخطبوط الأعلامي للبلدان الرأسمالية في خدمة الاحتكارات ، ترجمة حسن حبش ، بيروت، دار الفارابي ، ١٩٧٦، ص٢٦١.

١٢. د. جيهان رشتي، الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية ، القاهرة، دار التوفيق النموذجية، ١٩٨٥، ص٣٦٧.

١٣. ديفيد ديفس، اللغة والإمبريالية، م.س.ذ، ص١١.

١٤. المصدر نفسه، ص١٢.

١٥. د. جيهان رشتي، الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية، م.س.ذ.، ص٣٦٨.

16. Colin Cherry, (World Communication: Threat or promise? A socio-technical Approach, London, Wiley Intersicence, 1971), P. 123.

17. Nevill Barbour, cit. P67.

18. Ibid., P67.

19. Ibid., P57.

٢٠. محمد فتحي، عالم بلا حواجز، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢، ص٥٤.

٢١. تشارلز ر- رايت، المنظور الاجتماعي للاتصال الجماهيري، ترجمة محمد فتحي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣، ص٤٦.

٢٢. مجموعة من الباحثين السوفيتيين ، م.س.ذ.، ص٢٧-٢٨.

٢٣. أحمد طاهر، الأعلام الدولي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧، ص٨٤.

٢٤. د. جيهان أحمد رشتي، الأعلام الدولي بالراديو والتلفزيون، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٩، ص٥٧.

٢٥. د. مؤيد ابراهيم الوتداوي، العراق في التقارير السنوية للسفارة البريطانية ١٩٤٤-١٩٥٨، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٢، ص٢٨-٢٩.

٢٦. جريدة العراق، العدد ٧١٥٨، ١٩٤٦/٧/٣.

٢٧. المصدر السابق.

٢٨. جريدة الحوادث، العدد ٢-١٧، ١٩٤٨/٥/٢٨.

٢٩. جريدة الحوادث، العدد ٢-١١، ١٩٤٦/٥/١٥.

٣٠. جريدة الحوادث، العدد ٢٩٢٢، ١٩٥٢/١٠/١٥

٣١. جريدة الحوادث، العدد ١٦٠٥، ١٩٤٨/٢/٧.

٣٢. جريدة العراق، العدد ٧٣٣٥، ١٩٤٧/١٠/١١.

٣٣. جريدة الحوادث، العدد ١٨٤٧، ١٩٤٩/٥/٩.

٣٤. نجدت فتحي صفوت، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب، بيروت، المكتبة المصرية، ١٩٦٩، ص٢٥٩-٢٦٠.

٣٥. جريدة الحوادث، العدد ٣٨٩٦، ١٩٥٦/١/٤.

٣٦. ميشيل اوتيدس، خرق تخسر ثورة العرب ١٩٥٥-١٩٥٨، ترجمة خيري حماد ، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦١، ص٢١١.

٣٧. د.ك.و. البلاط الملكي، ملفة رقم ٣١١/٥٠١٩ تقارير السفارة العراقية في لندن، كتاب السفارة إلى وزارة الخارجية بتاريخ ١٩٥٧/١/٨، و٣٨, ص٩٨.

٣٨. جريدة الشعب ، العدد ٣٧٣٦، ١٩٥٧/١/٣١ والعدد ٣٧٣٧، ١٩٥٧.

٣٩. جريدة الشعب، العدد ٤٠٤٧، ١٩٥٨/١/٢.

٤٠. د.ك.و.، ملفات وزارة الداخلية ، نادي المعهد الثقافي البريطاني، رقم ٣٢٠٥٠/١٠٥٧٢ كتاب وزارة الشؤون الاجتماعية إلى مديرية الشرطة العامة ٢٧٧ في ١٩٣٩/١٢/٢٤ . و.ص.

٤١. جريدة العراق، العدد ٥٧٦٩، ١٩٤٠/١/٤.

٤٢. جريدة الحوادث، العدد ١٤١٦، ١٩٤٧/٦/١٤.

٤٣. جريدة الحوادث، العدد ١٤١٦, ١٩٤٧/٦/١٤.

٤٤. جريدة الزمان، العدد ٣٦٦، ١٩٤٩/١٠/٢٩.

٤٥. جريدة الزمان، العدد ٣٤٢٦، ١٩٤٩/١/٢٤.

٤٦. د. محمود الذواوي، التخلف الثقافي النفسي كمفهوم بحث في مجتمعات الوطن العربي والعالم الثالث، مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٨٣، كانون الثاني ١٩٨٦، ص٢٩.